

جمالية مكان الذكرى واللقاء في الشعر العربي القديم

The aesthetics of the place of memory and meeting in
ancient Arabic poetry

أ.د. ضياء غني العبودي / جامعة ذي قار / العراق

Thyambc@yahoo.com

م.م. زهراء عون خضير / جامعة ذي قار / العراق

Zhraa8187@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/01 تاريخ القبول: 2022/05/29 تاريخ النشر: 2022/06/30

الخلاصة:

يعدّ المكان من اهم الموضوعات التي لاقى اهمية في الدراسات الغربية والعربية منذ القدم ، ولا عجب في ذلك، اذ ان المكان وما فيه يلقي بظلاله على متلقيه خاطفا اياه، للغوص بأعماقه مكتشفا ما فيه من معان ودلالات توحى بما يريد الشاعر البوح به، سواء اكان ذلك بالتصريح والقول المعلن، أو عن طريق التلميح والاشارات التي يتضمنها المنطوق، وهو في كلا الحالتين يكشف عن أوراقه لمتلقيه ، مبينا عما بداخله و ما يعتريه بوساطة ما انتجه من نص يوشى بمدى تأثير تلك الامكنة وما فيها على نفس الشاعر حتى وان طال زمانه وتبدل الحال، ومن هذا المنطلق سيأخذ البحث على عاتقه الخوض في ثنايا تلك الأمكنة على اختلاف انواعها وازمانها ؛ للوقوف على مدى أهمية وجود مكان (الذكرى) و(اللقاء) في نصوص الشعر العربي القديم.

الكلمات المفتاحية: (الذكرى ، المكان ، اللقاء ، الشعر الجاهلي ، الجميلة)

Abstract :

The place is one of the most important topics that have received importance in Western and Arab studies since ancient times, and it is not surprising that, because the place and what is in it cast a shadow on its recipient, kidnapping it, to dive into its depths, discovering what it contains of meanings and connotations that suggest what the poet wants to reveal, whether that By declaring and proclaiming, or by allusion and signs that the utterer includes, and in both cases he reveals his papers to his recipient, showing what is inside him and what he is experiencing, by means of what he produced from a text that indicates the extent of the impact of those places and what is in them on the poet's soul, even if his time is long and changed From this point of view, the research will take upon itself to delve into the folds of those places of different types and times; To determine the importance of the presence of the place (memorial) and (meeting) in the texts of ancient Arabic poetry

Key words: (place , memory, m meeting , aesthetic)

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد.

لا شك ولاريب في أن للشعر العربي القديم مكانة متميزة في سلسلة الادب العربي؛ لما يتمتع به من سمات اهلته الى هذه المرتبة، فغدا ديوان العرب وسجل حضارتهم. وإذا كان للآدب حضوره في ثقافتهم فان الشعر كان له قصب السبق عندهم، فهو يسجل مآثرهم ويحفظ تاريخهم.

ان تلقي الشعر العربي كلاً يفوت فرصة معاينة المنجز الفني فيه وتأثير مناطق الابداع الفكري والجمالي على طول خط الابداع. لذا فهذه محاولة لمعاينة النص الشعري العربي القديم، والوقوف عند بنية المكان فيه من حيث الجمالية، جمالية الذكرى واللقاء؛ لأننا نشعر ان بنية المكان في النص الشعري القديم لم تكن بنية تأثيثيه فقط بقدر ماهي جزء من النسيج الفكري والجمالي بصيغته الفلسفية افاد منه النص في ارسال رسائله الى التلقي بكل ما تحمل هذه الرسائل من معنى.

لقد تم التركيز هنا على المكان بوصفه ذكرى ولقاء، عبر تحليل النصوص واستنطاق الكامن النصي فيها بوساطة المنهج التكاملي، فيعمد الى التحليل مرة والتأويل والسمياء تارة اخرى؛ لما يكتنز النص العربي القديم من جواهر تحتاج ادوات غير بسيطة لاستخراجها والخوض فيها. من هنا فهذه محاولة إدراجنا فيها جمالية مكان الذكرى واللقاء عبر استدعاء نصوص من الشعر الجاهلي والاموي والاشارة فيما بعد الى دور المكان في اعطاء الصورة الفنية والفكرية لثقافة النص، وقد تم تحليل النصوص المستدعاة على ضوء هذا الاتجاه، ثم

ختم البحث بنتائج توصل إليه الباحثان من نتائج نرى أنها جديرة بالعناية بوصفها مجال البحث ووجهته وخلاصته.

أولاً- جمالية الذكرى:

يعد الشعر الجاهلي خزينا معرفيا يمكن بوساطته فحص المنجز الابداعي للفن العربي وهو يسجل شخوص الذائقة العربية في رسم ملامح الكون والوجود، ويعد كذلك الجاهلي بحق نقطة انطلاق في الشعر العربي وهو يخطو بوصفه ظاهرة فنية تسجل للعرب عبر مقولة امتلاكهم حضارة النص¹. وإذا كان المجس النقدي للشعر يفحص بنية النص السطحية والعميقة وهيكل النص، فان للمكان دوره ووظيفته في منح النص الشعري جماليته عبر نقل التلقي الى اجواء المكان، بألوانه واطيافه، بوصف المكان "كناية عن الذات"² تتجلى فيه إرهاصات النص وخیالاته وهو يرسم حدود المكان وتشظياته.

واذا كان ثمة نضج في النص العربي الشعري فهو في الشعر الجاهلي ، ولعل الدليل على ذلك المعلقة التي علقت على جدار الكعبة³ سواء أكان التعليق المادي أو المعنوي، بل والرصانة اللغوية والفنية في رسم ملامح البيئة العربية ، ومن هنا فلا شك في انه – الشعر الجاهلي- يعد مرجعا لما بعده من الشعر العربي ، بل به يحتج ، وتشكل البيئة هنا ارضية اللوحة التي يعيد الشاعر الجاهلي تشكيلها من جديد ، "فالشاعر الجاهلي كان متعلقا ببيئته

1 - ينظر: مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: 13

2 - مفهوم المكان في المسرح المعاصر، :95

3 - شرح المعلقة السبع: 76

ومتشبعا بثقافة مجتمعه " 4 ؛ لذا نجد أنه يعني بتشكيل المكان في رسم الصورة ، سواء أكان ذلك المكان واقعيا ام متخيلا ضمن معالجات الشاعر لغرضه وقصده، هكذا تشتغل قصيدة الشاعر في اشعار المتلقي وتحيته منظر الصورة التي يريد. إن جمالية المكان في النص الجاهلي تأتي من التناغم بين الحيز الهندسي والمكان بوصفه فكرا يتبع طرائق معيشة القوم وعاداتهم وتقاليدهم، فالمكان في نصوصهم يحاور التلقي ويثبت له ويدفع عنه شبهة المجهول، انه مكان فعلي وان اتضح لك انه متخيل، لذا تجد بعض الشعراء يحدد المكان بدقة وكأنه امام حالة استجواب، يقول امرؤ القيس محددا مكان منزل حبيبته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل⁵

هنا اذ يفتتح امرؤ القيس معلقته فانه يفتتحها بمكان (منزل)، المكان الاليف الذي كان يألفه حين يلم بحبيبته في مغامرة من مغامراته، وقد افرد للمنزل ذكرى، كما ان للحبيب ذكرى، والذكرى في الحقل اللغوي كما يرى ((الفراء بمعنى الذكر: ويكون بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكر في قوله تعالى {وذكر فأن الذكرى تنفع المؤمنين} والذكر والذكرى بالكسر: نقيض النسيان، وكذلك الذكرى، قال كعب بن زهير:

أني الم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكره وشعوف⁶

4 -جماليات المكان في الشعر الجاهلي _ المعلقات أمودجا المقدمة

5 -ديوان امرؤ القيس: 22

6 -لسان العرب، ابن منظور، ج4: 308

إن التذكر ذلك يتم عبر التركيب اللغوي في وأو المغايرة، بين المنزل والحبيب، الا ان المنزل طلل ييكي الى جنبه الشاعر ، الا انه منزل في الواقع ، هكذا يريد له الشاعر ان يوصل التلقي الى جغرافية المكان ، المنزل بين الدخول وحومل ، وبالضبط الموقعي في سقط اللوى، هذا الوعي الشعري عند الشاعر يقابله وعي عند التلقي في اثبات المكان واهميته ، ولعل هذا الوعي بوصفه مرجعا للظاهرة الجمالية⁷ كان يتكرر في اكثر من نص لدى الشاعر في ترديد نفسي اجتماعي بتعبير ياسين النصير⁸ هذا التردد ينطلق من قصدية اثبات المكان واللاحاح عليه .

يقول امرؤ القيس في ذلك :

قفنا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت اياته منذ ازمان⁹

هكذا تعود الذكرى مرة أخرى (الحبيب \ الرسم) الطلل، في ثنائية الحبيب والمنزل / البيت، ذكرى الحبيب أو اشتغال النص الذاكرة على التمسك باللحظة عبر التركيز والترديد على جزئياتها لتكون فيما بعد الاشتات كلها فيه - المكان - فهو وان كان رسما، لكنه يحيل الى وجود الشاعر وذاتيته عبر امتلاكه لأبعاد الصورة وتأطيرها بملكيتها وذاتيته. ويقول هلال جهاد: " في خضم هذا التماهي والوعي الانساني بالفناء، نشأت تلك الحاجة الملحة

7- ينظر جماليات الشعر العربي: 38

8- ينظر: الاستهلال فن البدايات في النص الادبي: 60

9- ديوان امرؤ القيس: 159

الى بناء الوعي الشعري ذاتيته، وما اراده الوعي الشعري هو هذا البناء أعني الذاكرة¹⁰ وهذا ما يحيل الى القصيدة المتوخاة في رسم ملامح النص الجاهلي في خصوص المكان بوصفه شاهدا على حياة لا يريد لها الشاعر ان تنتهي وان اصبحت معالمها اطلالا. ان المنزل والرسم عند امرؤ القيس هما الدار /المكان / الذي انسنة عنترة، فناداه وطلب اليه الكلام في اشارة إلى انصهار الذات الشاعرة في المكان واتحادهما معا إلى درجة الحوار في وعي الشاعر الذي ينقل فيما بعد لا شعوريا في وعي التلقي، الجمالية هنا انشداد الوعي الى المكان بوصفه انسانا تحت تأثير الاندماج الذهني في صورة الذكرى.

يقول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم¹¹

يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلم

فوقفت فيها ناقي وكأنها فدن لأقضي حاجة المتلوم

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالملتئم

وأيا كان هذا المنزل فان التثبيت الذهني في ذاكرة الشاعر والتلقي يحيل الى تنشيط الذاكرة بوجود الدار / المنزل / الرسم الآن والبيت الاليف سابقا وهو جزء من الوجود الانطولوجي

10 -جماليات الشعر العربي :101

11 -ديوان عنترة بن شداد :11

للشاعر في اطار صوغ الثقافة العربية للبعد المعرفي لها في ظل تحديات المكان / البيئة /

والخوف من اتلاف الدهر لرسومها ،

يقول عمر بن ابي ربيعة في ذلك الاتجاه :

جن قلبي من بعد ما قد انايا ودعا لهم شجوه فأجابا¹²

.....

ذاك من منزلٍ لسلمي خلاء لايسٍ من عقابه جلبابا

اعقبته ريح الدبور فما تنفك منه اخرى تسوق سحابا

ظلت فيه والركب حولي وقوف طمعا ان يرد ربع جوابا

يعيد عمر بن ابي ربيعة انتاج المعنى في تصوير الدارس منزلا الا انه خلاء في اشارة الى بقايا اثار دار الحبيبة سلمى، تلك الدار التي هبت عليها ريح التغيير والتحول، التي تعقب سحابا يمحطها فيصيرها رعبا، الدار هنا عند عمر محطة ذكرى، يتمعن في اركانها ويسائلها عن لحظات العشق التي طالما احتضنتها، ليبقى عمر في ارجائها محأولا ان ترد عليه جوابا والربع (الاصحاب) وقوفا في تناص مع أمرئ القيس :

وقوفا بما صبحي علي مطيهم يقولون لا تملك اسي وتجمل¹³

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

هذه المحاولة لا شراك الصحب في مغامرة استنطاق الدار تعد حفرا في ذاكرة معرفية يجترحها التقليد العربي وهو يدعو الى مجاورة الطبيعة والتفاعل معها رداء لا خطاها ودفعاً لروحيتها ، محولا الطلل الى دار شاخصة تحاوره أو يحاول ان محاورتها ؛ وبالتالي فالتلقي ينتظر جوابا كما ان عمر ينتظر جوابا ، وهنا يكمن البعد الجمالي في ان الجواب سيكون انثويا ، ناعما ، ذا نغمة تنكسر على موجاتها طبقات الغنج والدلال ، كيف لا وهو يؤثث لمشهد دار تقطنها سلمى ، فلا بد من ان لصوتها بقايا في كل ارجاء المكان ، ويعيد الحياة التي يتشبث بها العربي الى الدار بعد ان فارقتها اصحابها ، فرشاة عمر هنا لا تتوقف عند المكان بوصفه فناء ، أو حيزا هندسيا ، بل يذهب به الى أكثر من ذلك في انه حي ، ويتكلم ، ويرد الجواب ، وعلى هذا انتظمت المنظومة الدينية في ان الميت يسمع الكلام ، اذ يروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ — حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ))¹⁴ ، هذا الانتظام في اطار الوعي العربي لمنظومة أفكاره يعيد تشكيل المكان وتأثيره في ضوء تقاليد النوع وصوغه ، لذلك يصير عمر المكان الى صوت رخييم في وعي التلقي .

13 -الديوان: 24

14 -صحيح البخاري، الحديث : 1338

ويقول ذي الرمة:

أمنزلي ميّ سلام عليكما هل الأزمن اللاني مضين رواجع¹⁵

وهل يرجع التسليم أو يكشف ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

.....

وقل الى أطلال ميّ تحيةً تحي بها أو أن ترش المدامع

لا يكتفي الشاعر هنا بحوار المنزل ، بل يدعو الى تحيتها ، في اشارة الى اخراج الدار من حقل الجامد الشاخص الى النامي المأهول ، ذي الحركة والاصوات ، عبر استدعاء لحظة اللقاء في صوغ ذكرى منزل ، منزل مأهول بما موجود حوله من نبات وعشب ، واذ تكمن جمالية المكان هنا في القصديّة التي تصير المكان الخرب مكانا يستحق التحية والتقدير ، فان ذلك يعني في تلقي المكان هنا محاولة ترميم المكان / الذاكرة/ ، اذ رآها مرة مأهولة ، وهو هنا لا يريد فراق صورة المأهول بوصفه مركزا للحياة والالفة ، للعشق والجمال ، فهو يبعث فيها الروح من جديد بعد ان صيرتها الرياح و الامطار الى خراب ، قيمة الحياة هنا تساوي اعادة ترميم المكان عبر استدعاء الذاكرة.

ثانياً_ جمالية اللقاء:

يعد اللقاء بالحبيب من أولويات الحب سواء اكان شاعرا ام غير ذلك؛ لما يحقق هذا اللقاء من بث مشاعر المحبين وشكواهم الم الفراق، واذ تتدخل منظومة العادات والتقاليد

15 -ديوان ذي الرمة: ج2: 1145

العربية في كبح جماح هذا اللقاء فان الحب/ الشاعر/ يتحين الفرص قدر الامكان في الوصول إلى حبيبته بشتى الطرق، وان كان هذا قد يودي بحياته في بعض الاحيان وهو يحاول ان يتسلل الى بيت حبيبته أو الى خيمتها وسط وجود الاهل والاخوان ورجال الحي، ولربما تعرض الشاعر الى المسائلة والتعنيف في بعض الاحيان وهو يستطلع المكان. ويقول الدكتور محمد حسن عبد الله: " لقد كان العربي في العصر الجاهلي تلقائيا في علاقته بالمرأة، يحترم الاعراف القبلية، ولكنه يستجيب للصبوة ما سنحت الفرصة "¹⁶، هكذا يمكن ان نتصور تلك الصبوة الى تعبر تقاليد القبيلة لتبحث عن الحبيب في مكان اليف خال من الاهل أو في مكان معاد تحوطه سيوف الاخوة وعيون الحراس. ولعل جمالية اللقاء هنا تنعكس على المكان بوصفه لحاضن الروحي لإرهاصات اللقاء وأشجان الشاعر، فجمالية المكان هنا هي جمالية روحية بصرف النظر عن مفهومه الدراسي الذي يصور المكان الاليف مكان دار المنشئ أو الشاعر، بل هو المكان الذي يشعر به الشاعر بالألفة ولو كان بين السيوف، لأنه ببساطة ائتلاف روحين معا يصيران الحيز أيا كان مكانا اليفا لنرى أن " جمالية المكان لا تتجسد بتسمية الامكنة ... وتحديد ابعادها، بل تتجسد بوساطة الطريقة الفنية التي تقدم امكنة مرتبطة بالحوادث "¹⁷

يقول لبید بن ابی ربیعۃ وهو یصور المرأة فی مرکبها:

بین الصفا وخیل العین ساكنة غلب سواجد لم یدخل بها الحصر¹⁸

16 -الحب في التراث العربي : 13

17 -بناء المكان الروائي، الرواية السورية امودجا : 35

18 -ديوان لبید بن ابی ربیعۃ, : 56

20-الادب وفنونه دراسة وتقذ: 75

وفي الحدوج¹⁹ غروب²⁰ غير فاحشة ريا الروادف يعيش دونهما البصرُ

كأنَّ فاهَا إذا ما الليل البسْـمَـها سياة²¹ ما بها عَيْب ولا اِثـر

قالت غداة انتجينا عند جارِـتِـها: انت الذي كنت ، لو لا الشيب والكبر

فقلت ليس بياض الراس من كبر لو تعلمين وعند العالم الخبر

ينثر النص شظاياه في وعي التلقي عبر انثيال الصور في البيت الواحد فضلا عن النص بأكمله ، ففي الهودج غروب ، المتحبة ، بمعنى المرأة الممتلئة انوثة تبعث بها الرجل ، مقدار الدلال والغنج والحب كل ذلك يشكل صورة الانثى وهي تركب الهودج ، هذه الصفة المعنوية تقابلها صفة اخرى ، هي الصفة الجسدية ، فهي ريا الاردا ف ممتلئة ، في اشارة الى الذوق العربي في بدانة المرأة بوصفها ابنت خير ونعيم ، وان من يراها يعيش بصره لشدة جمالها ، هنا وبعد ان يلبس الشاعر الصفات النفسية والجسدية على معشوقته، يعرج على اللقاء ، اللقاء الذي تم في بيت جارِـتِـها وهذا واضح من خلال قوله (انتجينا عند جارِـتِـها) في مشهد يمنح المكان حركيه وديناميكية تشد القارئ الى النص لمشاطرته الحدث وهو ينتقل من بيتها الى بيت جارِـتِـها، ان القراءة الأولى لمفردة (عند جارِـتِـها)، تذهب بالتلقي

19 -الحدوج مراكب النساء

20 -العروب المتحبة لزوجها

21-السياة البسر الأخضر، نوع من انواع الرائحة ,شبه بها فاهَا

الى ان اللقاء قد حصل في بيت جارثا بواسطة الظرف (عند) في حين ان القراءة العميقة
تمضي.

باتجاهين :

الأول: إن اللقاء تم في هودج جارثا اي رفيقتها، اذ يمكن ان نلاحظ على النص
إن هذه العروب ليست وحيدة في السفرة وكما هي عادة العرب فانهم لا يرحلون فرادى،
وهنا يحرك الشاعر الامكنة ويغير من جغرافية تبعا للأمان وزيادة في اضفاء روح المغامرة على
المشهد، اذ ان حركية المكان هنا تعني انتقالا من حيز الحرمان الى حيز اللقاء، وبذلك فهو
- الشاعر - يصنع المكان في وعي التلقي تبعا لتحقيق النتائج التي في صالحه، خصوصا
وانه يهتدى الى ذلك بحكم تكوينه البيولوجي والنفسي للتنفيس عن انفعالاته.

الثاني : ان اللقاء تم في بيت جارثا ، وهي انعطافه اخرى بالمكان من غير المستقر
(الهودج) إلى المكان المستقر(البيت) ، ولعل ما يؤكد هذا الاتجاه قوله (غداة أنتجينا) في
إشارة إلى ظرف الغداة ، مما يؤكد ان الشاعر تخين الفرص للقاء وقت غياب رجال الاهل،
جمالية المكان هنا تتحقق عبر تخطي المكان لحاجز الجغرافية ، وهو يشغل مساحة الصباح
الباكر باللقاء بوصف الغداة بيت الجارة ملتقى خارج إطار التحديد ، وهو ما جعل هذه
العروب مطمئنة حال حديثها مع من تحب، تتفقد الشيب الذي حل به وتساله عنه))

والشاعر هنا يريد ان ينزل في المكان الذي تعيش فيه المرأة التي احبها ، فهي عنده رمز للسعادة والاستقرار ، وهي مظهر ممتلئ بالحياة ((²².

يمكن أن يلاحظ حجم التغيير وحركة المكان في تشكيل لوحة المشهد عبر إحالة الادوات اللغوية إلى ادوات فنية تشكيلية تنسجم مع البعد التخيلي للمكان في ذهن التلقي يقول عمر بن أبي ربيعة :

يا خليلي هاجني الذكرُ	وحمول الحي اذ صدروا ²³
ظعنوا كأن ظعنهم	مومع القنوان أو عشر
بالي قد كنت آملها	ففؤادي مومع حذر
ظبية من وحش ذي بقر	شأنها الغيطان والغدر
رخصة حوراء ناعمة	طفلة كأنها قمر
.....	
اخيام البئر منزلهم	ام هم بالعمرة ائتمروا
ام بأعلى ذي الاراك لهم	مربع قد جاده المـطـر
سلكوا خل الصفاح لهم	زجل احداجهم زمـر
سلكوا شعب النقاب بها	زمرأ تخنم زمـر

22-جماليات المكان في الشعر الجاهلي المعلقةات امودجا ، 140

23-ديوان عمر بن تي ربيعة، 173

قال حاديبهم لهم اصلا امكنت للشارب الغدر

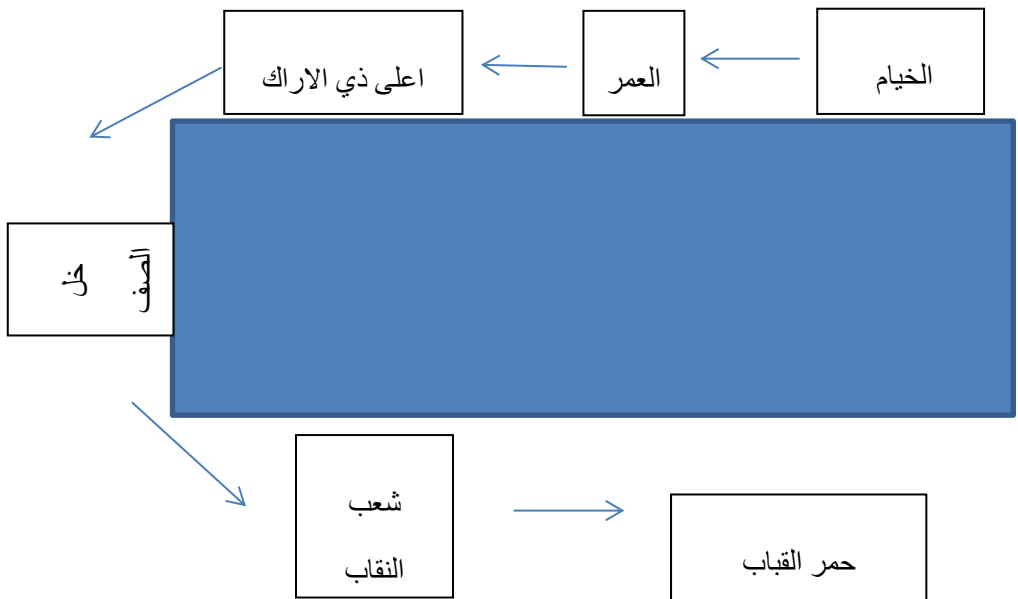
ضربوا حمر القباب لها واحيطت حولها الحجر

.....

فاذا ريم على مهد في حجال الخز مستتر

يتصدر نص الشاعر اشارته الى الرحيل (حول الحي) في قصيدة واضحة الى انشاء خطوط الامكنة عبر تحريكها وهو يتتبع رحلة الحبيبة من مكان إلى آخر ، فلا يستقر عند مكان إلا ويحول إلى غيره عبر إنشاء ما يمكن ان يدعوه البحث هنا ب (فسيفساء الامكنة)، ليخلق لنا فيما بعد لوحة تتجسد فيها الامكنة الذي يلاحقها الشاعر ويخلق منها صورا تتوشح بجمال الانتقال والتغيير ليبرهن الشاعر على قدرته في صنع أمكنته التي تطير معه ومع وجده حيث يحظى بحبيبته ، واذا كان ليبدد قد موه علينا مكان العروب وهو ينقلها الى جارتها، فان عمر هنا يتنقل عدة نقالات بوساطة الاسئلة التي تفيض به وجدا عبر الحوار الداخلي، فالخيام أولى الاسئلة التي يطرحها النص حول المكان وتأثيره ، الا ان هذا المكان قد هيا له الشاعر ليكون قلقة، متحولا عبر اللغة وحرف الاستفهام الهزمة (أخيام البئر ؟) ليهيئ التلقي فيما بعد للانتقال إلى مكان آخر، على ان جمالية المكان هنا تتشكل في خلخلة التلقي وكسر افق توقعه، فالخيام ليست المكان الوحيد الذي ينشئه الشاعر ها، بل ان العمرة المكان المحتمل ، وهنا مكان اخر تتجسد فيه قصيدة الانتقال وحتمية التشكيل، ثم مكان اخر (ام بأعلى ذي الاراك) ، و(خل الصفاح) و(شعب النقاب) و (حمر القباب) كل هذه الامكنة هي انتقالات قصيدة شكلت لوحة في مضمار اللقاء عبر مطاردة الحدث بوساطة المكان ، ومن هنا فان تحولات المكان من الخيام الى القباب الحمر كان قد

مر عبر شبكة معقدة من تراسل القصديات الشاعرة للوصول الى المكان المستقر (القباب
الحمر) من خلال دورة مكانية هدفها الانسجام النفسي للشاعر وهو يستقر في مكان
محدد ، ويمكن للبحث ها أن يرصد هذا الانتقال عبر الخطاطة الاتية :



على ان هذا الانتقال هو انتقال يمكن ان يكون ذهنيا غير قار في جغرافية حركة
المحبوبة، انما هو متابعة لهواجس الشاعر وهو يترسم خطاها في أكثر من مكنم لها في ذاكرته
وفي أكثر من لذة في امانيه، وإذا كان عمر قد أنشأ الامكنة واثنها في النص السابق، فانه
هنا يفتح الافق لأمكنة متعددة لا يمكن أن تعد، إذ جعل المكان متحركا بوساطة الحادي

من دون علم بالجهات التي سوف يذهب إليها، وهي قصيدة أراد منها الشاعر فتح باب التشكيل لأكثر من مكان بحسب تخيل التلقي.

يقول جميل بثينة :

وَاسْتَعْجَمْتُ أَيَّهَا بَجَوَابِي ²⁴	إِن الْمَنَازِلَ هِجَتِ إِطْرَابِي
أَنْصَاءَ رَسَمٍ أَوْ سَطُورُ كِتَابٍ	قَفَرًا تَلَوُّهُ بِذِي اللَّجَيْنِ كَأَنَّهَا
مَيِّ الدُّمُوعُ لِفُرْقَةِ الْأَحْبَابِ	لَمَّا وَقَفْتُ بِهَا الْقُلُوصَ تَبَادَرَتْ
وَذَكَرْتُ أَيَّامِي وَشَرَحَ شَبَابِي	وَذَكَرْتُ عَصْرًا يَا بُثَيْنَةُ شَاقِي

ان اللقاء الذي تصبو اليه ذات الشاعر الحاملة في هذا النص هو لقاء خارج حدود الجغرافية وحزمة الامكنة الهندسية ، بل هو لقاء يتم في المكان الفني الذي يتخيله الشاعر ويتمناه من خلال العودة الى الماضي وعن طريق الاسترجاع يقف مرة اخرى للقاء من احب، إن لجوء الشاعر الى هذا الامر يعود لأسباب عدة جعلته يلجأ إلى عالم آخر يجلب ويسترجع من خلاله أجمل لحظات عشقه، وإن هذه الاحالة إلى الخيال قد فرضه تغير الحال، وتبدل المكان ، مما عمد بالشاعر أن يتبعهم بفؤاد موجه وعين تدمع ، ومع ذلك فان المكان هنا غير قار(لحظة لقاءه بالمحبوبة)، مكان مخلق يتحقق متى ما شفي قلبه وجفت مآقيه، إن رؤية المكان في النص الشعري بوصفه حيزا هندسيا كفيف بالقضاء على البنى الابداعية فيه وتحويل

24 -ديوان جميل بثينة، 27

النص فيما بعد الى صورة فوتوغرافية ليس فيها روح ولا مادة، ويرى البحث ان لقصدية ووعي الذات في تشكيل النص لدى الشاعر جعل من الامكنة روحا حية تنبض بالجمال " وان تشابهت ... من الناحية المادية والطوبوغرافية، فأنها تختلف روحا ودلالة واثارة لآخر، فهي في كل الحالات مبعث للأبداع ..."²⁵ ومن هنا فان تعدد الاماكن عند الشاعر وان كان ذا مرجعيات قديمة نرجع اصولها الى الثقافة العربية القديمة والشعر العربي القديم، الا انها تنتظم في نسج النص بوصفها علامات مضيئة تشع بالنص وتبرز جمالياته وبالحص فيما يخص الامكنة وتعددتها.

وكيف يكون الامر ومن أحب لا يترك الحبيبة من دون أن يلتقيها، و إن تشتت الأماكن، وبعدت المسافة، حتى لو كان ذلك في خياله هو من دون تحقق فعلي، ولعل نصوص اللقاء هي النصوص أقرب إلى منطقة التخيل منه إلى الواقع، لاسيما والشاعر في هذه المنطقة يرسم لنا مغامرات ويسرد حكايات تقع في اماكن مختلفة.

يقول شاعر العشق والغرام وصاحب أروع أحاديث المغامرات الغزلية، عمر بن ابي ربيعة في وصف لقاء مع محبوبه قد هام بها حبا وعشقا، مما دعاه للمخاطرة بحياته من أجل اللقاء والمكوث بقرمها لشواني معدودات

يقول:

25 -جماليات المكان في الشعر الجاهلي المعلقات أنموذجا، 179

ولقد دخلت البيت يخشى اهله بعد الهدوء وبعدما سقط الندى²⁶

فوجدت فيه حرة قد زينت بالخلي تحسبه بها جمر الغضا

لما دخلت منحت طرفي غيرها عمدا مخافة ان يرى ريع الهوى

كي ما يقول محدث جليسه كذبوا عليها والذي سمك العلي

قالت لا تراب نواعم حولها بيض الوجوه خرائد مثل الدمى

بالله رب محمد حدثني حقا اما تعجب من هذا الفتي

الداخل البيت الشديد حجابيه في غير ميعاد اما يخشى الردى

فأجبتها أن الخب معود بلقاء من يهوى وان خاف العدى

فنعمت بالا اذ دخلت عليهم وسقطت منها حيث جئت على هوى

يبني النص هنا على قصدية اللقاء عبر التركيب (دخلت الحي) المتصدر النص، في إشارة إلى قصدية انشاء تصور اللقاء وانشاء اجواء المغامرة (يخشى اهله) ويلاحظ أيضا التركيز على وعي الذات في الاخذ بيد التلقي الى متابعة المغامرة ، وتحويل المكان المتصدر (الحي) من مكان معاد الى مكان اليق عبر تأطيره بدفع المشاعر التي يحملها الشاعر

لحيبته التي تسكن وأهلها هذا الحي، وليضيف الشاعر هنا جمالية للمكان (الحي) فإنه إنشأ لنا في منطقة التخيل صورة سقوط الندى بعد الهدوء؛ ليخرج المكان من مجرد حيز جغرافي هندسي الى مكان فني جميل ، يتوافر على الهدوء وسقوط الندى ، في اشارة الى الخلق بواسطة المجلس الشعري . إن البيت الذي يتوسط الحي ذا الحراسة المشددة (الشديد حجاباه) تحول من مجرد بيت مسلح بالحراسة ومشدد على اطرافه الى حضن دافئ جمع الشاعر بحبيته، اذ ينعم الشاعر بذلك اللقاء في مشهد تتخطى صوره الواقع الى الجمال المتخيل، ومع أن اللقاء كان قد تم من غير ميعاد، الا انه لقاء جاء بوعي المكان وقصديته، فالحي الذي يشكل وحدة مصغرة عن القبيلة ذات العادات والتقاليد المحافظة تحول إلى جسر للعبور إلى البيت، البيت الذي كان بحراسة مشددة، هنا تتحقق الجمالية للمكان في التحولات التي طرأت على الاماكن، فهي أماكن صعبة الاقتحام، إلا أن الشاعر استطاع أن يمنحها صفة الجمال عبر تحقق اللقاء.

الخاتمة ونتائج البحث

اسفرت رحلة البحث في جمالية مكان الذكرى واللقاء في الشعر العربي القديم عن جملة من النتائج يمكن حصرها في النقاط الاتية:

- إن المكان وجماليته في الشعر القديم عموما والشعر الجاهلي على وجه الخصوص ينبثق من كونه يتشكل عبر الحيز الهندسي والبناء العام للنص فكراً، إذ أن الشاعر لا يكتفي حين يرسم الملامح الطبوغرافية للمكان بالإشارة إليه، إنما يحيله إلى فكر وهو يمازج بين البيئة وما يتمخض عنها.

- إستنطاقاً للنصوص المستدعاة في البحث فإن المكان هنا لا يغدو حيزاً مادياً تشكّله الأرض وما عليها، إنما هو حاضن روحي يتسامى عن مادية الاجتماع إلى العروج بالحبيب بوساطة المكان وهو يتشكل بعد ذلك ذكرى تقبع في روح الشاعر .
- إثبت البحث أن جهوزية المكان بوصفه حاضناً روحياً قد تعدت حدود الثابت المستقر كما هو معهود من المكان إلى المتحرك غير المستقر، فالبيت والخيمة والغدير أماكن ثابتة مستقرة يمكن أن يلتقي الشاعر فيها بحبيبته، غير إننا نلاحظ المكان متحركاً كما هو في الحمل التي غادرت والهودج الذي ينوء بما يحمل من ذكريات اللقاء.
- وعلى غير المعهود من تصور المكان ملتقى للعشاق كما هو في البيت أو أماكن الرعي، لاحظ البحث أن المكان المقدس كالمشاعر (منى، الطواف وغيرها) كانت مكاناً للقاء، كما هي في نصوص عمر بن أبي ربيعة، وهذا ما يؤكد الحركة الفكرية للمكان فضلاً عن الحركتين الروحية والجغرافية.
- إن للمكان حضوراً لافتاً في الشعر العربي القديم مما يعطي إنطباعات لدى المتلقي بقوة الترابط بين الشاعر بوصفه صوت الثقافة والمكان بوصفه الحالة الشعورية التي بواسطتها ينشد الشاعر إلى وطنه .

المصادر:

1. الاستهلال فن البدايات في النص الادبي، ياسين النصير، ط/1، 1993، دار الشؤون الثقافية العامة
2. الاسس الجمالية في النقد العربي عرض \ تفسير \ مقارنة \ عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992
3. بناء المكان الروائي، الرواية السورية انموذجا، مجلة الموقف الادبي، العدد 36، تشرين الأول 1996
4. جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال، في الوعي الشعري الجاهلي، هلال جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت. 2007
5. جماليات المكان مجموعة مؤلفين، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988
6. جماليات المكان، غاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984
7. جماليات المكان في الشعر الجاهلي _ المعلقة أنموذجا، فوزي معمر، اطروحة دكتوراه جامعة محمد بوضياف \ كلية الآداب واللغات \ 2018
8. الحب في التراث العربي، محمد حسن عبدالله، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط 1، 1990
9. ديوان امرؤ القيس، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطأوي، دار المعرفة /بيروت لبنان، ط/2
10. ديوان جميل بثينة، جمع وتحقيق د. نصار دار مصر للطباعة
11. ديوان ذي الرمة، شرح الامام ابي نصر احمد بن حاتم الباهلي، رواية الامام ابي العباس ثعلب، تحقيق عبد القدوس ابو صالح، مؤسسة الرسالة بيروت، 1973

12. ديوان عمر بن ابي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه، فايز الداية، دار الكتب، العربي، ط2، 1996
13. ديوان عمر بن ابي ربيعة، وقف على تصحيحه بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، ط1، 1934
14. ديوان عنتر بن شداد، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، ط2/، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 2004
15. ديوان لبید بن ابي ربيعة، دار صادر بيروت
16. شرح المعلقات السبع، ابو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني، دار صادر بيروت، ط1
17. صحيح البخاري، للإمام الحافظ الحجة امير المؤمنين في الحديث، ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم، طبعة جديدة وملونة، البشرية، كراتشي، باكستان، 2016
18. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعية جمالية، حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001
19. لسان العرب، ابن منظور، ج4، دار صادر للطباعة والنشر
20. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي، بيروت، ط1، 1993
21. مفهوم المكان في المسرح المعاصر، د. سامي سعد، مج عالم الفكر، ع 4، 1985
22. مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد ابو زيد، ط4، المركز الثقافي العربي